

سورة النازعات

سميت هذه السورة الكريمة بالنازعات؛ لورود هذا اللفظ في مستهلها، ومقاصد هذه السورة قريبة

من مقاصد سورة النبأ، فإن فيها ما في القرآن المكي من المقاصد العقدية:

فمن مقاصدها: إثبات البعث، وبيان أهوال يوم القيامة.

ومن مقاصدها: بيان مصارع المكذبين بالبعث، كما في قصة فرعون.

ومن مقاصدها أيضاً: تقرير توحيد الربوبية، المقتضي لتوحيد الألوهية. كما في ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْدُّ خَلْقًا أَمْرًا

السَّمَاءِ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾﴾، وما بعدها .

ثم أخيراً من مقاصدها: إثبات أفعال العباد، وترتب الثواب والعقاب عليها.

﴿وَالنَّزَعَتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِطَتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّبِيحَتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالْتَبَقَتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ .

هذه أمورٌ خمسة أقسم الله ﷻ بها، والله ﷻ له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته . قيل في هذه الخمس

جميعاً أن المراد بها الملائكة، وقيل غير ذلك .

﴿وَالنَّزَعَتِ غَرْقًا﴾ أي: الملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزاعاً شديداً، وتجذبها جذباً أليماً . فمعنى ﴿

غَرْقًا﴾ أي: شديداً، من الاستغراق بالفعل، فهو نزع شديد، كما جاء موصوفاً في حديث البراء بن

عازب رضي الله عنه: " كما يُنزعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ " رواه أحمد^(١)، فإن روح الكافر عند القبض،

تتفرق في أنحاء جسده، فإذا نزعتها الملائكة وقالت ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ط الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ

الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام 9]، تتفرق روحه في

جسده، فينزعها الملك نزاعاً شديداً . وه ذا مروى عن جمع من الصحابة - رضوان الله عليهم - ،

وقيل في تفسير ﴿وَالنَّزَعَتِ﴾: أي الموت، كما يقال نزعات الموت، أو نزع الموت، وقيل أيضاً أن

المراد بالنازعات: النجوم التي تنزع من جهة إلى جهة، وتتحرك من جهة إلى أخرى، فهي تنزع من

جانب من السماء إلى جانب، وتنتقل من منزل إلى منزل، وقيل المقصود بالنازعات: القسي الذي

(١) مسند الإمام أحمد (15834) صحح إسناده شعيب الأرنؤوط.

يكون فيها السهم، فكأن الله تعالى أقسم بهذه القسي حينما تنزع إلى منتهاها، وقيل في تفسير ﴿وَالنَّزِعَاتِ﴾ النفس .

هذه أقوال خمسة، وأقرب هذه الأقوال القول الأول، وهو أن المراد بالنازعات الملائكة حين تنزع أرواح الكفار من أجسادهم .

﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢) ﴿أحسن ما قيل فيها: الملائكة حينما تسل أرواح المؤمنين سلاً رقيقاً، كما

جاء موصوفاً في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: " فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ " رواه أحمد^(٢)، وسل القطرة من السقاء أرفق ما يكون، لا صوت، ولا ألم. فأقسم الله بالملائكة حينما تسل أرواح المؤمنين من أبدانهم. وقيل فيها أيضاً ما قيل في سابقتها؛ أن المقصود بالناشطات الموت، أو النجوم حينما تنشط من جهة إلى جهة، وقيل فيها أيضاً المقصود بالناشطات: الأوهاق، يعني الحبال التي ترمى بها الأنشودة، فيسحب بها الصيد، والأنشودة: حبل يكون فيه كالعقدة، يرمى على الشيء البعيد، فيجر به.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ (٣) ، الأصل في السبح العوم في الماء، وأيضاً في الهواء، فالسبح لا يكون فقط في الماء، بل يكون في الهواء أيضاً، ولهذا يوصف الجواد بأنه سابع، كما قيل:

أعز مكان في الدنا سرج سابع وخير جليس في الزمان كتاب

وأولى الأقوال، كما أسلفنا، أن المراد بها الملائكة حينما تعرج في أجواز الفضاء صعوداً، وهبوطاً، بأمر الله تعالى، فإن الملائكة كما أخبر الله: (**تعرج الملائكة والروح إليه**) ، وقال: (**تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**) ، فالملائكة تصعد وتهبط بأمر الله تعالى، وقيل في ﴿وَالسَّابِحَاتِ﴾ أيضاً ما قيل فيما قبلها؛ أن المراد بها الموت، وقيل أن المراد بها النجوم؛ لأنها تسبح في الفضاء، وقيل فيها أيضاً السفن؛ لأنها تمخر اليم فهي تسبح فيه.

﴿فَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ (٤) هذه الفاء للتفريع تدلنا على أن جميع المذكورات شيء واحد، وصفات لموصوف واحد، فالمذكورات السابقة النازعات، والناشطات، والسابحات هي لموصوف واحد وهي

(٢) مسند الإمام أحمد (15834) صحح إسناده شعيب الأرنؤوط.

الملائكة على القول الراجح، وأنها ليست أنواعاً يعني ليست النازعات شيء، والناشطات شيء، والسابحات شيء، بل كل هذه صفات لجنس واحد؛ لأنه أتى بعد ذلك بالفاء للتفريع على ما مضى.

﴿فَالسَّيِّئَاتِ سَبَقًا﴾ (٤) أي: الملائكة تتسابق في امتثال أمر الله، وتنفيذ ما يطلب منها من أنواع الوظائف التي أناطها الله بها. وقيل أيضاً إن المراد بالسابقات: الموت كما قيل فيما مضى، وقيل المراد بها الخيل؛ لأن السابقات مما توصف به الخيول كما قال الله تعالى ﴿وَالْعَدِيدَاتِ ضَبْحًا﴾ (١) فهن يعدون ويتسابقن، وقيل أيضاً: المراد بها النجوم؛ لتسابقها في المطالع والمغرب. وأولى الأقوال هو القول الأول كما أسلفنا.

﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ (٥) أما المدبرات فإنها بإجماع المفسرين: الملائكة، فهي تدبر الأمر الذي يأمرها الله تعالى به. وهذه الجملة الأخيرة، التي هي الوصف الخامس، تؤيد أن جميع ما مضى صفات لموصوف واحد؛ لأن الله تعالى عطف المدبرات على السابقات، والسابقات جاءت مصدرة بالفاء التي تفيد التعقيب، فهذا يرجح بقوة أن النازعات، والناشطات، والسابحات، والسابقات، والمدبرات كلها طوائف من الملائكة، أناط الله تعالى بها أعمالاً ووظائف.

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان. والملائكة عالم غيبي خلقهم الله تعالى من نور، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ" رواه مسلم (٣)، وسخرهم لعبادته وطاعته، فهم يسبحون الليل والنهار لا يسمون، ولا يفترون، ولا يستحسرون. وقد جعل الله تعالى طبيعتهم طبيعة تعبدية، لا ينزعون إلى الشر أبداً، على النقيض من الشياطين الذين جعل الله طبيعتهم طبيعة تمردية. وبين الطائفتين الإنسان؛ فإن الإنسان ليس كالملك لا ينزعه إلا الخير، وليس كالشيطان لا ينزعه إلا الشر، بل هو كما قال الله

تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠)

﴿١٠﴾، فالإنسان بين بين، فهو إن زكى نفسه صارت نفسه ملائكية؛ يعني طائعة لله ﷻ لا أنه يكون ملكاً، لكن تصبح نفسه نفساً مطيعة لله ﷻ منقاداً كالملائكة، وإن كانت الأخرى صارت نفسه شيطانية.

هذه الآيات الخمس أقسام، بين الله تعالى المقسم به ولم يبين جواب القسم؛ والظاهر والله أعلم، أن الله تعالى أخفاه إما تعظيماً لشأنه، وإما لشهرته؛ لكونه هو الأمر الذي كان يجري الخلف فيه مع مشركي العرب، وهو البعث . فتقدير جواب القسم : لتبعثن . كأن الله تعالى يقول والنازعات، والناشطات، والسابحات، فالسابقات، فالمدبرات لتبعثن.

أقسم الله تعالى بهذه الطوائف من الملائكة على أمر عظيم جليل، عليه مدار الحياة، وإقامة الحق، وهو البعث بعد الموت، الذي كان ينكره مشركو العرب، ولا ريب أن هذه القضية قضية عظيمة ثقيلة بها مسار الحياة؛ فإن من امتلأ قلبه بالإيمان باليوم الآخر، انضبط، وصار عنده حس يقظ، واستعداد، وشعور بالمسؤولية لما هو مقبل عليه .

الفوائد المستنبطة:

الفائدة الأولى: إقسام الله تعالى بما شاء من مخلوقاته، فله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس للمخلوق أن يقسم إلا بالله وحده. فمن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك عن سعد بن عبيد أن ابن عمر سمع رجلاً يقول: لا والكعبة فقال ابن عمر لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول " مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ " رواه أبو داود والترمذي^(٤)، أما الله ﷻ فله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وآياته الكونية، والشرعية .

الفائدة الثانية: إثبات الملائكة، وأعمالهم.

الفائدة الثالثة: أن إخفاء المقسم عليه يكون للتعظيم، أو للشهرة، فالله تعالى قد أخفى المقسم عليه، وهذا يزيد الأمر جلالاً ومهابةً .

(٤) سنن أبي داود (3253)، سنن الترمذي (1535)، صححه الألباني.

كيف تقلق، تترقب؟ فكيف بهذا الأمر الأبدى، السرمدى، الذي هو نهاية حال العبد؛ فلذلك كانت القلوب واجفة .

﴿ أَبْصَرَهَا خَشِيعَةً ﴾ : أبصار أصحاب القلوب خاشعة، أي: ذليلة؛ لأن الخشوع هو الهبوط

قال تعالى: ﴿ تَرَى الْأَرْضَ خَشِيعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّت ﴾ [فصلت:39]. ولا ريب أن القلب هو خبيثة العبد، ولا ريب أن العين، أعظم ما يظهر عليه الأثر. فللعين هي المرآة التي

تكشف عما في القلب. ولما وصف الله حال الظالمين، قال: ﴿ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى:45]!

﴿ يَقُولُونَ آءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ (١٠): تساؤل يكشف عن قلق، وتوتر، وعجب لا ينقطع.

﴿ لَمَرْدُودُونَ ﴾ يعني: معادون، ﴿ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ الحفارة: هي الحياة بعد الموت. يعني أعود نحيا بعد

أن متنا، كما وصف الله هذا في موضع آخر ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

يَسْأَلُونَ ﴾ (٥١) ﴿ [يس:51] والنسلان هو الإسراع في الملش ﴿ قَالُوا يَنْوِيلُنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدَانَا ﴾

[يس:52] ما كانوا يتوقعون هذا ولا يأملون؛ لأنهم كانوا منكرين للبعث ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ

وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس:52]، فيالها من مفاجأة، وأي مفاجأة! صدمة هائلة لهؤلاء

المنكرين للبعث. وتأمل وقع هذه الآيات على منكري البعث!، لا ريب أن مثل هذه الآيات

هزت كثيراً من القلوب ودعتها إلى الإيمان، إلا من أبى. وقيل في تفسير الحفارة، أي: الأرض؛

يعني: أنحن مردودون إلى الأرض التي كنا نسكنها؟ وقيل، وهو قول بعيد: ﴿ الْحَافِرَةُ ﴾ النار.

ولا يستقيم هذا مع قولهم ﴿ لَمَرْدُودُونَ ﴾؛ لأنهم ما كانوا فيها حتى يردوا إليها. وأصل الحفارة في

لغة العرب: رجوع المرء من الطريق الذي أتى منه. تقول العرب: "رجع فلان إلى حافرته"

كأن الإنسان إذا سلك درباً حفر أثره في طريقه، فإذا قيل رجوع فلان إلى حافرته، كأنما قيل رجوع

أدراجه، على سيرته، وخطته التي مشاها.

﴿أَيُّ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾: يعني بعد أن كنا عظاماً، بالية، فانية، فارغة يصوت فيها الريح؛

لأنها لما بلت، صارت مجوفة، فصارت الريح تصفر فيها، تدخل، وتخرج. وقيل أيضاً من معاني نخرة: مرفوته، يعني مدقوقة محطمة .

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (١٢): يعني إن كان الأمر كذلك، فهذه رجعة لا خير فيها، والعياذ

بالله؛ لأنهم يعلمون أنهم أساءوا في الأولى، فهم غير متفائلين بهذه الرجعة، فلذلك حكموا على رجعتهم بأنها خاسرة، لا خير فيها .

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣): يعني كل ما في الأمر، فالأمر هين بالنسبة لله ﷻ، أنها زجرة

واحدة، وحسب، والزجرة: هي الصيحة، لكنها بهذا التعبير زجرة تعطي معنى أشد، من كلمة صيحة، ففيها معنى العنت، والعنف، زجرة واحدة، لا مثوية فيها.

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤): يعني فإذا القوم تشق عنهم قبورهم، ويبعثون؛ ليكونوا في الساهرة،

والساهرة: هي الأرض بعد التبديل. يقول: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ط وَبَرَزُوا لِلَّهِ

الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم 48]، فالأرض التي يبعث عليها الناس، أرض كالتقرصة، وكالخبزة، ليس

فيها معلم لأحد؛ فإن الله أخبئ الجبال فقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (١٥)

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ (١٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه 105-107]، مشهد مهيب، مهول،

تعود الأرض ممدودة كمد الأديم، ليس فيها معلم لأحد عن سهل بن سعد ﷺ قال سمعت رسول الله

ﷺ يقول "يُخَشِّرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ". قَالَ: سَهْلٌ: أَوْ غَيْرُهُ لَيْسَ فِيهَا

مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ" رواه البخاري^(٨)؛ لا جبل يشرف منه الإنسان، ولا وادٍ يُكْنَهُ، بل يصبح الناس قياما على حد

سواء. وقيل في تفسير الساهرة: أنها اسم مكان معروف من الأرض في الشام، وقيل: إنه جبل إلى

جانب بيت المقدس. وأقرب هذه الأقوال أن الساهرة هي الأرض التي تكون بعد التبديل، أرض

ليست كأرضنا التي نحيا عليها الآن، بل أرض مهياة لاجتماع الخلائق عليها، منذ آدم ﷺ إلى آخر من

(٨) صحيح البخاري (6521).

يموت على وجه الأرض، ليس الآدميين فحسب، بل كما سيأتي إن شاء الله ، ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ

﴿ [التكوير 5] ، فالعشار، والوحوش، وكل شيء يجتمع على تلکم الأرض .

هذه الآيات العظيمة تتضمن إقرار عقيدة البعث، بأوضح ما يكون، وبأشد ما يكون! فالله سبحانه وتعالى يبدأ بذكر ما يجري يوم القيامة؛ من رجف الأرض، فيخبر الله ﷻ بأن هذه

الأرض المستقرة، التي امتن علينا باستقرارها في موضع، فقال: ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴿

[النمل:61]، ضع يدك على الأرض تحس أنها مستقرة، لم يدر بخلدك يوماً أن تتحرك، وتهتز، هذه

الأرض ترجف ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿ ، ورجف الأرض مقارن للنفخة الأولى، فلا تعارض بين

التفسيرين، ولا مانع من الحمل عليهما معاً، ﴿ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿ نفخة أثر نفخة. وعن أبي هريرة ؓ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ " قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ: " آيَّتُ " قَالَ: أَرْبَعُونَ

شَهْرًا قَالَ: " آيَّتُ " قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ: " آيَّتُ " متفق عليه (٤). فالله أعلم، بأي تقدير تلك

الأربعين، ويكون حال الناس، ما وصف الله تعالى من وجف القلوب، واضطرابها، ومن خشوع

الآبصار وقلقها، وحيرتها، فزعاً مما هي مقبلة عليه. ويتساءل المنكرون للبعث في ذلك المقام،

تساءل المشدوه، الفرع، المصدوم: ﴿ آءِنَّا لَمَرْدُودُونَ ﴿ لما كنا فيه من حياة، معادون للأرض التي

كنا نسكنها؟ يا لها من خسارة فادحة! فهم قد علموا من حالهم أنهم كانوا مكذبين، وحق عليهم

ما توعدهم به نبيهم ﷺ، فأدركوا أن أمرهم في خسار، وسفال، فلذلك جزوا ﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ

خَاسِرَةٌ ﴿ ، وبين الله تعالى أن الأمر حق، لا مثنوية فيه: ﴿ فَأِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿ .

الفوائد المستنبطة:

الفائدة الأولى: إثبات النفختين.

الفائدة الثانية: عظم شأن الساعة. ولهذا كان من رحمة الله ﷻ أن الساعة، لا تقوم على مؤمن، لا

تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى

شَرَارِ الْخَلْقِ هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ" رواه مسلم (١٠).

(٩) صحيح البخاري (4814)، صحيح مسلم (2955).

(١٠) صحيح مسلم (1924).

الفائدة الثالثة: بيان مظاهر الخوف؛ الظاهرة، والباطنة؛ الباطنة في القلوب، والظاهرة في الأعين.

الفائدة الرابعة: صدمة الكفار يوم القيامة، وشدة ندمهم.